



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

إيران والعراق القدرات المترامنة للوحدة والمواجهة

حميد رضا إبراهيمي



سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلّ، غيرُ ربحيّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصّ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا معقدة تهّم الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2021

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

إيران والعراق .. القدرات المتزامنة للوحدة والمواجهة

حميد رضا إبراهيمي *

إن إيران والعراق يمتلكان إمكانيات وقدرات يمكن أن تحولهما إلى شركاء استراتيجيين في منطقة الشرق الأوسط، وفي الوقت نفسه، توجد هناك تناقضات بين بعضهما البعض، والتي بدون كبح جماحها قد يدخل البلدان في توترات أمنية وعسكرية وحتى حرب لفترة طويلة من الزمن.

يمكن تقديم تحليل جامع وشامل للعلاقات السياسية والاقتصادية بين إيران والعراق، وهو أن هذين البلدين يتمتعان بطاقات وإمكانيات ذاتية، إذا تحققت عملياً على أرض الواقع، من شأنها أن تضع البلدين على مستوى شريكين استراتيجيين في منطقة الشرق الأوسط، وفي الوقت نفسه، توجد لديهما تناقضات أيضاً، بحيث إذا تركت دون رادع حقيقي واحتواء للأمر من قبل طهران وبغداد، فقد تدفع البلدين إلى فترة طويلة من الصراعات الأمنية والعسكرية وحتى الحرب.

إن أهم العوامل الدخيلة في كيفية توجيه التطورات في إيران والعراق في المستقبل، وأن أياً من الاحتمالات المذكورة آنفاً التي ستسود في العلاقات بين الجانبين، ستكون على النحو التالي: أولاً: نوع الحكم في كل من البلدين.

ثانياً: تأثير العلاقات الإقليمية والعالمية على تحديد السياسات الكلية للبلدين تجاه بعضهما البعض.

وإذا وصلت حكومتان ديمقراطيتان إلى سدة الحكم في طهران وبغداد، فبطبيعة الحال، نظراً للعلاقات الدينية والثقافية المشتركة بين إيران والعراق، فإن مؤسسات صنع القرار في البلدين ستفضل الحلول الدبلوماسية لحل القضايا والخلافات، وتبعاً لذلك، سيتقلص خطر المواجهة العسكرية إلى حد كبير، وإن السيادة الوطنية في إيران والعراق ستقلل من احتمالات التدخل في الشؤون الداخلية للبلدين، وبالتالي، ستختفي الآثار الإعلامية والسياسية الناجمة عن الشعور بالرزوح تحت وطأة «الاستعمار». وفي المقابل، فإن عدم وجود السيادة الوطنية سيدفع الأحزاب السياسية داخل العراق

* صحفي مختص في شؤون العالم العربي والشرق الأوسط، وخبير في مجال حقوق الإنسان.

وإيران إلى استغلال الخلافات الاستراتيجية القائمة بين الطرفين من أجل المصالح الحزبية، ويديروا ظهورهم لمصالح بلدهم السياسية، مقابل تأمين مصالح الطرف الآخر، وبذلك ينشرون الكراهية العامة بين الناس تجاه الدولة المجاورة.

خلال كفاح الأكراد المسلح ضد الحكومة المركزية في العراق، وكذلك أثناء تشكيل الكتل السياسية الشيعية المعارضة خلال الحرب العراقية الإيرانية، وبعد سقوط صدام أيضاً، شاهدنا أمثلة على التدخل الإيراني في العراق عبر استغلال استياء الجماعات العراقية. ومن ناحية أخرى، من خلال الكفاح المسلح الذي تبنته المجموعات اليسارية المعارضة ضد شاه إيران، وأنشطة منظمة مجاهدي خلق ضد الجمهورية الإسلامية، شهدنا أيضاً أنشطة العراق ضد إيران من خلال التحالفات مع الجماعات الإيرانية المعارضة وتقديم الدعم لها.

إن استمرار التدخل العلي السافر في الشؤون الداخلية للبلد المجاور، يسبب لدى الشعب نظرة سلبية تجاه الطرف الآخر، ويمكن أن يكون لهذه القضية آثار طويلة المدى على العلاقات السياسية بين الجانبين، ولذلك إذا تُركت صلاحية اتخاذ القرارات في إيران أو العراق بالكامل للشعب، فلن يظهروا أبداً استعداداً للتسامح والمرونة مع دول الجوار.

إن الحكومة الديمقراطية الملتزمة بمبادئ العلاقات الدولية، تقيم علاقاتها السياسية من خلال الاعتماد على علاقتها مع الحكومة الرسمية للبلد الآخر. وفي المقابل، فإن التواصل مع الجماعات السياسية التي تعمل خارج سيطرة الحكومة ودعمها وتعزيزها، يؤدي تدريجياً إلى قطع العلاقات الرسمية مع النظام الحاكم، وهذا الأمر يعرض العلاقات الاقتصادية بين الجانبين للخطر.

إن إيران والعراق تتمتعان بإمكانيات كثيرة للتعاون في مجالات مثل نقل التكنولوجيا، وصادرات المواد الغذائية، والمشاركة في مشاريع النفط والغاز والطاقة المشتركة. وإن التشابك الاقتصادي يجعل العراق وإيران أن يضعوا الحلول الصعبة والأمنية في المرحلة الأخيرة لخياراتهما عند اتخاذ قرار حل الخلافات السياسية، ويعطيان الأولوية للحفاظ على العلاقات التجارية. ومع ذلك، فإن تجاهل إيران لدور الحكومة المركزية في العلاقات بين طهران وبغداد دفع الجانب العراقي تدريجياً إلى تقليص العلاقات الاقتصادية وإيجاد بدائل لمصادر الطاقة.

إن النسيج العشائري العراقي فضل أحياناً أصوله ووشائجه العربية واستقلاله على القواسم الدينية المشتركة مع إيران، وعلى الرغم من أن العراقيين يرحبون بتلقي الدعم والمساعدات من إيران، ولكن إذا خرج هذا الدعم الاقتصادي عن إطار التعاون وتحول إلى تدخل في العلاقات السياسية، فسوف يكون ردُّ فعل الشعب العراقي سلبياً تجاه ذلك.

لقد تمحورت إحدى ركائز الاحتجاجات السياسية الشعبية في العراق منذ أكتوبر تشرين الأول ٢٠١٩ وحتى اليوم حول الحد من دور إيران في المشهد السياسي لبلدهم، حيث يظهر هذا الحدث أنه ينبغي على طهران إعادة النظر في سياساتها تجاه بغداد.

العامل المؤثر الآخر الذي يؤدي دوراً في تشكيل العلاقات الإيرانية العراقية، يتمثل في القضايا العالمية والإقليمية وتأثيرها على العلاقات بين البلدين. إن طهران منذ فترة طويلة تنظر إلى حلفائها السياسيين وكذلك الميليشيات الشيعية في العراق على أنهم يشكلون عاملاً لدفع سياساتها الإقليمية إلى الأمام، وتتوقع أن يكون لهذه القوى موقف قريب من إيران فيما يتعلق بقضايا مثل مقاومة سياسات الولايات المتحدة والدول العربية المطلة على الخليج، وكذلك قضية فلسطين، في حين أن الظروف السياسية في العراق قد تتطلب شيئاً آخر. إن هذا النوع من المواقف السياسية للجماعات المذكورة آنفاً، يجبر أيضاً خصوم إيران على الحد من نفوذ هذا البلد في الهيكل السياسي للعراق، وذلك من خلال دعم وتقوية المجموعات الموالية لهم، وبطبيعة الحال، يؤدي هذا التدخل الثنائي إلى توتر مستمر في العلاقات بين طهران وبغداد. وبالتالي، دون أدنى شك، لا يمكن أن تتحقق مصالح العالم وإيران في العراق إلا باتباع مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية لهذا البلد. إن تحرك إيران لدعم وتقوية الكتل السياسية العراقية الموالية لها والمناهضة للغرب، سيأخذ منحاً آخر أيضاً وهو: تعزيز التيارات السياسية العراقية الصديقة للغرب من أجل العمل ضد طهران، وذلك من قبل خصوم إيران.

ومما لا شك فيه، نظراً للأجواء السياسية غير المواتية داخل العراق وكثافة المطالب وعدم كفاءة الحكومات السابقة، فإن هذا التكتل والاصطفاف لن يكون في مصلحة إيران على الإطلاق. وستؤخر القوى الأجنبية عملية مغادرة الأراضي العراقية على المدى الطويل إذا شعرت أن هناك تهديداً مستمراً لمصالحها في البلاد. وإن وجود هذه القوى الأجنبية السياسي والعسكري المتكامل

في العراق يحول دون تكوين علاقات موالية بين طهران وبغداد.

إن عدم الاستقرار في العراق، ووجود قوات تعمل بالوكالة، وإضعاف الحكومة المركزية وعلاقتها المتوترة مع محيطها، جميعها عوامل تضر بإيران في المقام الأول، وتمنع إقامة علاقات مستقرة وطويلة الأمد بين البلدين. ويجب القول إنه في حالة تفكك العراق، ينبغي على إيران أيضاً انتظار تفعيل صدوع النزعات الانفصالية للقوميات على أراضيها. وإذا حقق العراق الأمن والاستقرار على أراضيه بدون مساعدة طهران، الأمر الذي ليس من المستحيل تحقيقه، فعندئذ لن تكون إيران في مأمن من تداعيات النظرة التشاؤمية للعراقيين، وخاصة السياسيين في هذا البلد؛ ولذلك، يجب أن تقوم سياسة طهران تجاه بغداد على توطيد دعائم الأمن والاستقرار في العراق وتصحيح النظرة الجريئة للشعب العراقي تجاه إيران. وإذا تم تنفيذ هذه السياسة بنحو صحيح، وعبر الأخذ بالحسبان القواسم الدينية المشتركة والعلاقات الاقتصادية بين الجانبين، فستصبح إيران الشريك الرئيس للعراق في منطقة الشرق الأوسط. أما إذا كان الأمر خلافاً لذلك، ستعرض إيران مرة أخرى للمخاطر الناجمة عن تنامي الآراء القومية في العراق، ويمكن أن يؤدي ذلك إلى إعادة إنتاج النوايا السياسية العدائية في أواخر الستينيات والسبعينيات في هذا البلد.

المصدر:

وكالة الأناضول <https://b2n.ir/k45765>